

التفكيكية وقراءة القرآن الكريم

المدرس الدكتور

ايناس كاظم شنبارة

الجامعة الاسلامية - فرع بابل

Deconstruction and reading the Holy Quran

Lec. Dr.

Enas Kazem Shanbara

Islamic University - Babylon Branch

الملخص:-

يدور البحث حول المنهج التفكيكي ابتداءً من المفهوم والنشأة ومن ثم علاقة التفكيكية بالمناهج والنظريات من حيث الانسجام والاختلاف أو الاتفاق والافتراق وصولاً إلى المقولات والأسس وآلية الاشتغال. وبعدها أجبنا على السؤال الآتي: هل بالإمكان تفسير القرآن الكريم انطلاقاً من مقولات التفكيكية؟ وهل بالإمكان تفكيك النصوص المقدسة؟ وتوصلنا إلى التفكيكية فيها هدم لقدسية النص وزعزعة الثوابت وابقاء حقل القراءات مفتوحاً وترحيل قصدية الإله .. وهذا يتعارض مع قوله تعالى (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) وقول الرسول (ﷺ): ((من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)). ويمكننا القول ان تطبيق التفكيكية هو مقارب بشكل كبير لمفهوم تفسير القرآن الكريم بالرأي المذموم الذي يخالف ما اجمع العرب عليه ويخالف مقاصد الآية .

الكلمات المفتاحية: القرآن، الفلسفة ، التفكيكية.

Abstract:-

The research revolves around the deconstructive approach, starting with the concept and its origins, and then the relationship of deconstruction with the methods and theories in terms of harmony and difference or agreement and divergence, all the way to the categories, foundations, and the mechanism of operation. Then we answered the following question: Is it possible to interpret the Holy Qur'an based on the deconstruction arguments? Is it possible to dismantle the sacred texts? And we reached deconstruction, in which the desecration of the text is destroyed, the constants are shaken, the field of readings is kept open, and the intention of God is deported.

And the Prophet (PBUH) said: ((Whoever speaks about the Qur'an without knowledge, let him take his seat in Hellfire)). We can say that the application of deconstruction is very close to the concept of interpreting the Holy Qur'an with a reprehensible opinion that contradicts what the Arabs unanimously agreed upon and the intent of the verse.

Keyword: The Qur'an, Philosophy, Deconstruction

الملخص

يدور البحث حول المنهج التفكيكي ابتداءً من المفهوم والنشأة ومن ثم علاقة التفكيكية بالمناهج والنظريات من حيث الانسجام والاختلاف أو الاتفاق والافتراق وصولاً إلى المقولات والأسس وآلية الاشتغال. وبعدها أجبنا على السؤال الآتي: هل بالإمكان تفسير القرآن الكريم انطلاقاً من مقولات التفكيكية؟ وهل بالإمكان تفكيك النصوص المقدسة؟ وتوصلنا إلى التفكيكية فيها هدم لقدسية النص وزعزعة الثوابت وبقاء حقل القراءات مفتوحاً وترحيل قصدية الإله.. وهذا يتعارض مع قوله تعالى (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) وقول الرسول (ﷺ): ((من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار)). ويمكننا القول ان تطبيق التفكيكية هو مقارب بشكل كبير لمفهوم تفسير القرآن الكريم بالرأي المذموم الذي يخالف ما اجمع العرب عليه ويخالف مقاصد الآية .

مجاور البحث :

أولاً- التفكيكية في المفهوم العربي والغربي

ثانياً: الأصول الفلسفية للتفكيك : التشابه والاختلاف

ثالثاً: مرجعيات التفكيك : نقاط الالتقاء والافتراق بين التفكيكية واللسانيات

رابعاً- أثر المرجعيات الدينية في تأسيس التفكيكية

خامساً- أثر التفكيكية في مناهج ونظريات ما بعد النبوية

سادساً - نشأة التفكيك / جاك دريدا

سابعاً - التفكيكية وقراءة القرآن الكريم .

التفكيكية في المفهوم العربي والغربي

التفكيك في اللغة من (فكك) فككت الشيء: خلصته ، وكل متشابكين فصلتهما فقد فككتهما ، وكذلك التفكيك . وقال ابن سيده فك الشيء يفكه فكاً فنكه فصلته . وفلان يتفكك إذ لم يكن به تماسك في حمق^(١) . وفك الشيء فصل اجزائه ويقال : فك الآلة ونحوها^(٢) .

وفي الإصطلاح : إن ثقافة ما بعد الحداثة وانعكاسها على الساحة النقدية انجبت مناهج ومقولات فلسفية تساند تحولات الواقع والفكر الغربي . ومع طلائع الستينيات شهدت

الساحة النقدية الفرنسية حركة نقدية ومشروع يتسم بالثورة والتمرد على كل شائع ومألوف . قاد هذه الحركة الفيلسوف يهود الأصل والفرنسي الجنسية (جاك دريدا) قدم مشروعه (التفكيكية) والتي ترجمت إلى العربية بمصطلحات متعددة . وهذا ليس بغريب على الحاضنة النقدية العربية وهي تستقبل المصطلحات الغربية ، فالواقع الثقافي والنقدي ساهم في زعزعة الثابت. فالتفكيكية^(٣) والتشريحية^(٤) والتقويفية^(٥) والتشكيكية^(٦) مصطلحات تصب في حقل واحد وحاملة معنيان : أحدهما فضفاض والثاني محدد . ففي معناها الفضفاض تتسع الحركة لتشمل ما هو أبعد من النقد الأدبي ؛ اذ صار التفكيك شعاراً يؤشر على توجيه معين في العالم السياسي والتاريخ والقانون مثلما الحال في دراسة الأدب . وفي وجهة نظر المحافظين دخول التفكيك في هذه العلوم مرادفاً لمتطرف سياسي ينتقد انتقادات ضالة الأفكار المثلى المعتمدة والراسخة بأسلوب مثقل وملتبس بالمصطلحات الطنانة^(٧).

أما المعنى المحدد للتفكيكية فهي مدرسة ومنهج في النقد الأدبي وهي من أشد الحركات ذات التوجه النظري والفلسفي على وجه الخصوص في تاريخ النقد الأدبي^(٨) . وهي المدرسة التي أسسها جاك دريدا والتي تقوم على أساس البحث الأبدي في النسق الداخلي للنص . وخلخلت وتفكيكت كل المعاني التي تستمد منشأها من اللوغوس ، وبالاخص معنى الحقيقة . والتفكيكية بهذا التصور هي تتجاوز للمدلولات الثابتة عن طريق الخلخلت واللعب الحر للكلمات ؛ لأنها تقوض النص وتبحث بداخله فيما لم يقله النص (المسكوت عنه) وهي تعارض منطق النص الواضح والمعلن وادعاءاته الظاهرة بالمنطق الكامل في النص ، كما انها تبحث في النقطة التي يتجاوز فيها النص القوانين والمعايير التي وضعها لنفسه . فهي عمليه تعريه للنص ، وكشف أو هتك لكل اسرار ، وتقطيع اوصاله ، وصولاً إلى أساسه الذي يستند عليه ، فيتضح هذا الأساس ويتبين ضعفه وسيرورته فتسقط عنه قداسته وزعمه بأنه ثابت متجاوز^(٩).

وهناك من فرق بين التفكيك والتقويض جاعلاً الأخير هو الأقرب لمشروع دريدا)) فالتقويض على نقصه لا يلتبس بمفهوم رينيه ديكارت وميكانيكية تفكيكه للمفاهيم ، إضافة الى ذلك فالتقويض لا يقبل مثل ما ذهب اليه أهل التفكيك في مقولة البناء بعد التفكيك كما أن مفهوم التقويض يتناسب مع الاستعارة التي يستخدمها دريدا في وصفه للفكر الماورائي

الغربي ، إذ يصفه بأنه (صرح) أو بناء يجب تقويضه . ولئن انطوى مفهوم التقويض على انهيار البناء فإن إعادة البناء تتنافى مع مفهوم دريدا للتقويض ، إذ يرى في إعادة البناء فكراً غائباً لا يختلف عن الفكر الذي يسعى دريدا إلى تقويضه^(١٠)

وعلى الرغم من أن ارتباط التفكيكية بالهدم والانهيار لكن دريدا يصرح بأن القراءة الأولى تكون تقليدية والقراءة الثانية تفكيكية . فالتفكيكية ((تسعى إلى دراسة النص مهما كان دراسة تقليدية أولاً لإثبات معانيه الصريحة ، ومن ثم تسعى إلى تقويض ما نصل إليه من نتائج في قراءة معاكسة تعتمد على ما ينطوي عليه النص من معانٍ تتناقض مع ما يصرح به))^(١١) .

الأصول الفلسفية للتفكيك

التشابه مع الفلسفات السابقة عليها :

١- لقد تأثر دريدا بالفلسفة الظاهرانية لهوسرل في القراءة وإنتاج المعنى ؛ لأن الفلسفة الظاهرانية في رؤيتها النقدية لاحظت أن القراءة تفاعل بين موضوع النص والوعي الفردي^(١٢) .

٢- تأثر دعاة التفكيك بأفكار هيدجر ونيثشه في مساعيهم الحثيثة عن فكرة إمكانية قيام أسس جديدة للفكر الإنساني الحديث والمعاصر ، هذه الأسس تقوم على نقد ورفض الأسس التي تركز عليها الحضارة الغربية الحديثة ، معتمدة على مبدأ الشك وعدم الوثوق في كثير من المفاهيم والمبادئ هذا من جانب ومن جانب آخر ترفض التسليم بوجود أي معتقد كان . وثبتوا أن ما بعد الحداثة لعبة لغوية وهذا جوهر ما دعت إليه التفكيكية^(١٣) .

٣- اخذ دريدا مصطلح (التدمير) من هيدجر ، واستخدمه في كتابه الأول ومن ثم عدلها إلى مصطلح التفكيك في كتاباته اللاحقة^(١٤) .

٤- كما أن هناك التقاء بين دريدا وهيدجر في كون الأخير تحدث عن المعرفة وثنائية الغياب والحضور ولا نهائية المعاني والدلالات والثورة على القراءات المألوفة العادية ، ونقد التمرکز العقلي وفلسفة الحضور والتناص . وهي كلها مقولات اعتمدها دريدا في تأسيسه لمشروع القراءة التفكيكية . كما نلاحظ الفصل الذي أقامه هيدجر بين العلامة وما تدل عليها فصل دريدا هو الآخر بين الدال والمدلول وهو

ما يتيح للمدلول التعدد والانفتاح الى ابعد نقطة ممكنة فيما يسمح بتعدد المعنى وانفتاحه^(١٥).

٥- يتفق دريدا مع فلسفة هيدجر في القول بثنائية الحضور والغياب التي تعني ان الوجود لا يظهر حضوره الا من خلال غيابه ، بمعنى ان اللغة وفي حالة معرفتها بهذا الوجود تصطدم بجدار التقاليد الذي رسخ عبر الزمن ، حتى انه غيب هذا الوجود الامر الذي يؤدي بالضرورة الى تدمير هذه التقاليد من اجل استحضار الوجود المخفي ولا يتحقق الوجود الا بالغياب^(١٦).

٦- كما يلتقي فكر دريدا مع فلسفه نيتشه في المنحى العام الذي إلزم به نيتشه في كتاباته القائمة على الشك في جميع الأفكار الباحثة عن الحقيقة التي تفتح المجال واسعاً امام احتمالات تحرير الفكر من الحدود الضيقة للمفاهيم القديمة^(١٧) . كما تتفق التفكيكية مع فلسفه نيتشه في فكرة موت المؤلف التي دعا اليها بمقولته (موت الاله) تلك المقولة التي لاقت ترحيباً من قبل الأوساط الغربية ؛ لأنها عبرت عن اللحظة التاريخية التي مرت بها اوربا في ذلك الحين . وهذه المقولة تعني : إعطاء الأولوية للإرادة الإنسانية لكي تمارس طقوسها بتفكير سام وحرية مطلقة بعيداً عن ميتافيزيقا الحضور . واطلاق العنان للذات لتمارس البحث عن المخفي والغامض . وهي دعوة تبنتها التفكيكية^(١٨).

٧- تأثر دريدا بالفلسفة الوجودية في رفضها أي بناء نسقي في كثير من المجالات اللاهوتية والسياسية والأخلاقية والأدبية وهم يناضلون ضد النظريات المقبولة عرفاً وضد القنوات التقليدية وهذا ما نجده عند دريدا . كما نلمس التأثير الواضح في رفض الوجودية كل ماهو تام ومركزي ومناداتهم بالتفرد والتميز فكل شخص يبني واقعه حسب رؤيته الخاصة . كذلك نجد ان دريدا يؤمن بعشية العالم وانه مؤسس على الفوضى وحالات من انعدام التوازن ومن هنا يبدأ الشك في كل القيم وينتهي تفكير دريدا الى نوع من اللامعنى وعدم النظام في الحياة وعشية الأشياء .. وهو ما قدمه سارتر سابقاً في نفسه لجميع القيم والإبقاء على قيمة واحدة وهي (الحرية) التي ارتبطت عنده بسلطة القارئ من خلال ولوجه لعالم النص وهتك اسراره العصية الدفينة^(١٩).

٨- تأثر جاك دريدا بمقولات التحليل النفسي للعالم فرويد ، واهم هذه المصطلحات (الغض ، الكبت ، الحلم ، الهلوسة) وقد استخدمها دريدا بحيلة وحذر^(٢٠) .

نقاط الافتراق (الاختلاف) بين التفكيكية والفلسفات السابقة عليها

١- يرى نيتشه ان اللغة الرمزية خاضعة في دلالاتها ومعانيها لنظام الحقيقة ، وهذا النظام كما هو معلوم ذو سياق قائم على النظرية النسبية ، ومن ثم يكون المعنى الحاصل هو الآخر نسبي وغير مطلق ، كونه يمثل النقطة التي يسعى القارئ اليها ، وهي الحقيقة التي تظل امرا نسبياً ، وهذه الفكرة كانت نقطة الافتراق بين الاثنين^(٢١) .

٢- هناك فرق كبير بين فلسفة فرويد ودريدا في مفهوم (الأثر) فهو عند دريدا ليس حضوراً وليس له مكان على وجه التحديد . أما عند فرويد فالأثر مرتبط بالذاكرة الوراثية ، إنه منتزع من الخطابات التقليدية التي تجعله يتحقق من حضور اصلي يجعل منه سمة امبريقية : الأثر لا يدل فقط على اختفاء الأصل ، انه يعني ان الأصل لم يختف حتى انه لم يتكون ابداً ، فالأثر يصبح هكذا أصل الأصل^(٢٢) .

٣- انتقد جاك دريدا الميتافيزيقيا السابقة بدءاً من افلاطون حتى ادموند هوسرل وبول ريكور . والميتافيزيقيا فرع من فروع الفلسفة يفترض وجود علل او أسس أولية ونهائية تصدر عنها الموجودات على اختلافها فتقدر على تفسيرها وخلع معنى عليها ، مثال متعال ، جوهر المادة ، هوية ذاتية . انتقد دريدا هذا الفكر واتهم فلسفتهم بالتمركز المنطقي (التمركز حول اللوغوس) القائم على تكريس المقابلات الثنائية مثل (الكلام / الكتابة) و(الحضور / الغياب) (الواقع / الحلم) (الخير / الشر) وهذا الفكر يمنح الامتياز والتعالي للطرف الأول ، ويرمي الدونية والهامشية على الطرف الثاني من الثنائية . وهذا الانحياز للطرف الأول هو ما يسميه دريدا (التمرکز المنطقي) يأتي دريدا ليقلب المعادلة فهو يرى ان الاسبقية – ان كان لابد منها – هي اسبقية الكتابة على اللفظ . (الكتابة عند دريدا ليس تصويراً وتمثيلاً للأصوات المنطوقة إنما هي مرادف للاختلاف) وهذا لا يعني بتاتا ان دريدا يقترح الاسبقية التاريخية

للكتابة ؛ انما يؤكد بالأحرى انه حتى الكلام المزعوم كونه وحيد المعنى (بشئ اشكاله) يتعرض لآثار تعدد المعاني على الرغم من التدابير القمعية للمركزية الكلامية التي تطرح كمسلمة مبدأ أحادية المعنى المفهومية^(٢٣).

٤- خالف دريدا الفكر الفلسفي الغربي في قضية (الفلسفة والأدب) . فالفلسفة اعتمدت على مغالطة محيرة حينما جعلت نفسها تمتاز على الأدب باعتبارها هي اللغة ، زاعمة ان لغتها تتسم بالدقة والرصانة العلمية بينما اعتمدت لغة الادب على المجاز . فيقوم دريدا بدراسة الاستعارة والمجاز في الخطاب الفلسفي الغربي منذ افلاطون ، ليثبت ان دعوى مثل هذه تقلب الفلسفة مزاعمها رأسا على عقب ، ان اصل اللغة هو الاستعارة والمجاز . خاصة ان الاختلاف يعزل الدال عن المدلول . فكيف تزعم الفلسفة ان لغتها تستبعد المجاز وانها توحد بين الدال والمدلول (أي أنها لغة حقيقة) بينما الادب هو لغة الخيال والوهم^(٢٤) .

يتضح ان دريدا كان محقا في هذا القلب المفاهيمي فاذا كان الكلام كله حقيقة ودقة ووضوح ولا يعتريه المجاز والاستعارة والخيال والوهم فما الجدوى من البحث عن حقيقة الأشياء التي شغلت العقل البشري وحيرته ؟ وهل ينطبق هذا المفهوم على اللغة الأدبية والجمالية ام يتسع الى النصوص المقدسة ؟

مرجعيات التفكيك :

نقاط الالتقاء بين التفكيكية واللسانيات

لم تخرج أفكار دريدا وبارت وغيرهما من انصار التفكيكية عن الاطار العام الذي رسمه فردينياد دي سوسير ومن جاء بعده في شرحهم لمقولاته وآراءه . ومن تلك الآراء التي افاد منها دريدا في تأسيس التفكيكية نذكر :

١- استخدم دريدا أفكار سوسير في تصويره للعلاقة بين الدال والمدلول كطرفين للعلامة^(٢٥) . فقد اعتبر سوسير العلاقة اعتبارية أي إنه الغى العلاقة التطابقية بين الأسماء ومسمياتها وهذا في نظر التفكيكيون رفض للنمذجة والمركزية من طرف سوسير فاصبح القارئ يستقبل الكلمة على أنها كم مطلق والكلمة موسوعية تستقبل وتتضمن تلقائياً كل التوقعات التي يسمح بها كعلاقات خطابية يتطلبها الاختيار

النصي ، فقد أعاد التفكيكيون النظر في العلاقة بين الدال والمدلول واعتبروها علاقة اعتبارية سائرين على خطوات سوسير تاركين فراغا كبيرا بين الدال والمدلول ، وذلك يهدف الى شحن الدوال بفكرة اللعب الحر والذي يحقق مبدأ لا نهائية الدلالة او تعددية المعنى بتعدد طرقهم في اللعب والمراوغة ^(٢٦).

٢- تبنى دريدا أفكار سوسير حول استقلالية النص كبنية لغوية وعزلها عن مختلف الوسائط الخارجية ، وان المعنى يتحقق من خلال حرية العلاقة داخل ذلك النسق ^(٢٧).

٣- اللسانيات ارسى مبدأ استقلالية اللغة عن سائر الأنظمة المعرفية الأخرى، فاللسانيات خلّصت اللغة من وصل العلوم الأخرى . وبالمثل نفسه جاءت التفكيكية لتعيد الاعتبار الى شباب اللغة وذلك من خلال النظر في الخطابات الادبية والفلسفية بعيداً عن العلوم الأخرى ^(٢٨).

٤- من مقولات البنيوية (موت المؤلف) وهي مقولة اكدتها التفكيكية ودعت الى ضرورة قراءة العمل الادبي مفصلاً عن كاتبه ، وتسليط الاضواء والتحليل والتفكيك على النص المكتوب كونه لغة . فالتفكيكية انهدت عصر المؤلف وفتحت عصر القارئ ^(٢٩).

٥- ينطلق البنيويون والتفكيكيون من بعدهم من مبدأ قديم يعود الى النقد الجديد (إيلوت ومدرسته) القائم على (خرافة القصيدة) وقدمه التفكيكيون ب(انكسار القصيدة) ويقصد به ان القصيدة يجب دراستها بمعزل عن قصد الشاعر إلا ان التفكيكية طورت هذه المقولة فقصدت الى ان المؤلف غير موجود والنص نفسه لا وجود له ^(٣٠).

٦- الكثير من مقولات التفكيكية كانت متداولة عند النقاد الجدد ومن ذلك نذكر مقولة (احالة المعنى) التي ظهرت عند دريدا بتعبير مختلف وهو ميتافيزيقيا الحضور ^(٣١).

نقاط الافتراق بين التفكيكية واللسانيات

صحيح ان التفكيكية قامت على انقاض البنيوية التي أرهقت في حياتها الاخيرة . فلم يقف دريدا من افكار سوسير موقف الانكار والرفض والقطع ، بل واجهها مواجهة الشك المفضي الى التقويض الذي كان القصد من ورائه تقويم زللها ونسف مركزها وتغيب حضورها وهذا يتضح من خلال مقولة دريدا ((ان المسألة ليست رفضاً لمشروع سوسير بكامله أو انكار القيمة التاريخية ، وإنما هي دفع لذلك المشروع للوصول به إلى نتائجه

النهائية استهدافا للموقع الذي تعمل عنده تلك النتائج في تحديد مقدمات المشروع المنطقية التقليدية ((٣٢).

فالقصد ليس انكار وتقاطع تام بين البنيوية واللسانيات عموما بل هو للممة الاشلاء ومحاولة سبكها بمقولات جديدة لمشروع يساهم في إكمال الخطوات السابقة ، فافترتت التفكيكية مؤسسة لنفسها مقولات جديد وبديلة وأهمها :

١- رفض دريدا مركزية الحضور ودعا إلى تمزيق البنية وتفكيكها بحثا عن المعاني الغائبة التي هي سلسلة من الاختلافات . وهذه ضربة وتحديا لفكرة البنية ذاتها اذ ان البنيوية تفرض على الدوام وجود مركز (بنية) ومبدأ ثابت ، وتراتبية معاني ، وأساس صلب ، وهذه الأفكار والمقولات هي بالتحديد ما دعا دريدا إلى تفكيكها فلا يوجد ثابت ولا أساس صلب وهي تحديدا نقطة الانتقال من البنيوية إلى ما بعد البنيوية (٣٣) .

٢- فصل سوسير طرفي العلامة باعتبارها تتكون من دال (صورة سمعية) ذي تمثيل صوتي ، ومدلول (صورة ذهنية) وإنه بالرغم من العلاقة الاعتبارية القائمة بينهما ، فانه لا يمكن فصل الدال عن المدلول ، إنهما بمثابة الورقة النقدية إذا مزقت وجهها الدال تمزق ظهرها المدلول . كما ركز سوسير على المدلول (المرسل) والحد من قيمة الدال (الكتابة) وهذه الدوامه هي ما سعى دريدا إلى هدمها (٣٤) .

٣- شكك دريدا في فكرة النسق التي عدها البنيويون أساس الكشف عن البنية وأداء العلاقات وتحقيق الدلالة المنشودة من طرف القارئ . رفض دريدا هذه الفكرة وقدم مفهوما آخر للنسق قائما على اعطاء المدلول حرية اللعب المطلق والتأمل مستقلا عن دواله فاتحا بذلك أمام القارئ افاقاً من حرية تفسير العلامات (٣٥) .

٤- ربطت البنيوية الشكلانية مسألة تفسير النص بالمتلقي ونفت قصدية المؤلف ومن ثم يتبع القارئ / المتلقي وحدات النص وبنياته وفهمها قصد الوصول الى الدلالة النهائية . في حين قلبت الفكيكية هذه الفكرة ونفت أي تفسير نهائي للنص . واذا كانت البنيوية قد تبنت المصطلحات الاتية (النص - المعنى - الدال - المرجع - التأويل النهائي) فان التفكيكية تبنت المصطلحات المعاكسة تماما وهي (اللانص - اللامعنى - اللادلالة - غياب المرجع - التأويل المستمر ...) (٣٦)

أثر المرجعيات الدينية في تفسير التفكيك

وهي الجذور المسكوت عنها في الدراسات التي تطرقت للتفكيكية . وهي الأساس الذي تستند عليه المشاريع الفكرية في اوربا . التفكيكية اكثر المشاريع الحديثة التصاقا بالمرجع الديني ، لكونها منهجاً يتكئ على موروث ديني (عبري) علاوة على اشتراك روادها ، والروافد المعرفية التي افادت منها بذلك الموروث (٣٧) .

تمثل الديانة اليهودية الحضور الطاعي في المشاهد الثقافية الغربية بل في السياق الحضاري الغربي بصورته الواسعة ، مما جعل اثرها يمتد الى مختلف الحقول ، وتأتي الحقول الفكرية والعلمية في مقدمتها . وكان من الطبيعي ان يرافق الحضور اليهودي في المجالات الاخيرة تطورا على المستوى النقد بأشكاله المختلفة والمتسقة في الوقت نفسه مع كل حقل او نوع فني (٣٨) .

وتعد الفلسفة القبلانية من أهم الخيوط الدينية التي استقى منها دريدا شرعيه توجهه . بوصفها (القبالة) أو القبلانية تصوفاً باطنياً وتأويلاً يحتوي على عناصر روحانية . ومع أن التصوف ظاهرة تشترك فيها ثقافات كثيرة ، فان لكل تصوف خصوصيته وليس ثمة مطابقة بين القبالة اليهودية وغيرها من انماط التصوف ، لأسباب منها ان القبالة ليس مجرد معرفة صوفية وانما هي معرفة ذات طبيعة خاصة تستمد خصوصيتها من الموروث الديني اليهودي (٣٩) .

وقد تبنى معظم النقاد الغرب الفلسفة القبلانية ، فهي فلسفة دينية يهودية تستهوي القلوب والعقول ، نظراً لمعالجاتها التي تتسم بالخفاء والتلاعب بدلالة الأشياء الظاهرة ، وتعتمد على اغراء الانسان بوصفها فلسفة ذات منزع حلولي وخصوي ينهض على امكانية التواصل المباشر بين الانسان والإله ، بوصفه مصدر القوة والمعرفة الازلي ، مما يجعل الانسان شريكا في امتلاك المعرفة وخلقها حتى ان اعضاء القبالة اطلقوا على انفسهم لقب : (العارفين بالفيض الرباني) لكون فكرهم قائم على اساس ان الله خلق العالم عن طريق انسحابه فترك فراغا ، ثم فاض بالمراحل العشرة للكشف عن نفسه ، وهناك اتحاد تام بين الخالق ومخلوقاته كلها ، فالسما تشبه الارض ، والله يشبه الانسان ، والتاريخ يشبه الطبيعة ، فالأشياء جميعها تنظمها وحدة صارمة ؛ لأن العنصر الالهي يسري في الاشياء والكائنات كلها (٤٠) .

هذه الفكرة قائمة على أساس هدم المركزية الإلهية، فلا يوجد إله متركز يستمد منه الإنسان انضباطه ونظامه ..

فلا يمكن للإنسان في ظل ما بعد الحداثة أن يعيش متمسكا بفكرة وجود الإله وقد انسحبت هذه الأفكار إلى الساحة النقدية وظهرت بوضوح في أفكار جاك دريدا ورواد مدرسة بيل الأمريكية عامة. ومن أثار القبلانية في الساحة النقدية المابعد بنوية نلمس المقولات الآتية (عزل الإله / المؤلف / المبدع) (فرضية افتتاح النص والاختلاف والمتاهة)

أثر التفكيكية في مناهج ونظريات ما بعد البنيوية

تعد التفكيكية من أكثر المناهج النقدية تغلغلا في مناهج ونظريات ما بعد البنيوية ، لما تمتلكه من مفاهيم وأفكار تستوعب حالة التغير الحاصلة في ما بعد الحداثة ، تلك التي فتحت المجال أمام النظريات والأفكار للتداخل والتشابك مع بعضها البعض بوعي أو من دون وعي والمهم من ذلك أن التفكيكية عبرت الحدود واشتبكت مع النظريات والمناهج ونذكر من ذلك :

أولاً: التفكيكية ونظرية التلقي :

سارت نظرية التلقي على نهج التفكيكية في تقويض سلطة النص بعدما نسفت البنيوية والحداثة سلطة المؤلف واذاعت خبر وفاته وتلاشته . جاءت التفكيكية ومن بعدها نظرية التلقي لتجاوزهما الطرح البنيوي الذي يعلي من شأن النص وقدرة أنساقه المغلقة في الإحالة على الدلالة . وفي عدم ارتباطه برسل (مؤلف) . ((إن كلا من التفكيك والتلقي يلتقيان في أهم مبادئهما . وهو إلغاء النص وقصدية المؤلف))^(٤١) .

تؤمن مدرسة كونستانس بأن القراءة المنتجة ، أو القراءة الفعلية ضرب من المداورة أو المراوغة والتجسس على الكلمات ، وهي بحث مضمر واقتحام للمجهول وفي هذا المجال نجد نقطة التقاء أخرى بين التفكيك ونظرية التلقي^(٤٢) .

فضلا عن ذلك فأن التلقي يخالف التفكيك في مقولة التأويلات النصية : في الوقت الذي يتفقان به بتعدد الدلالات وتعدد التأويلات إلا إن التلقي يحزم بوجود معنى نهائي للنص وتسلم بنهاية التأويل وتوقفه ، في حين إن التفكيكية تؤكد باستحالة تثبيت معنى معين للنص ويبقى التأويل متاحاً^(٤٣)

ومن نقاط الافتراق بين الاثنين نذكر أن القراءة التي تقترحها نظرية التلقي هي قراءة تاريخية خاضعة لمبدأ تعاقب القراءات لا تدرج ضمن نظرية الأدب بقدر ما تحيل على تاريخ الأدب. في حين نجد القراءة التفكيكية هي قراءة أدبية عالمة وفعالة ومنضبطة . تنطلق من داخل النص ومن ثم الى خارجه - وليس العكس - وفق مفاهيم نابذة من عمق النص^(٤٤)

كما تفرق التفكيكية عن نظرية التلقي في كون الأخيرة ترى أن القارئ بأنواعه هو الأساس في عملية بناء معرفة حول النص واستخلاص المعاني وتتبعها ، إن النص خاضع لسلطة القارئ ، بينما ترى التفكيكية ان القراءة هي التي تمارس فعلها على القارئ . فالتفكيكية تعلي من شأن القراءة وفاعليتها^(٤٥).

ثانياً: التفكيكية والسيما

انتعشتا التفكيكية والسيما بعد البنية وقد اتفقتا في لا نهائية التأويل . كما اعتمد دريدا على سيميائيات بورس في بناء تفكيكته وتبنيه قناعة لا نهائية المداليل وتعدد التأويلات وهذا ما قاله سعيد بنكراد : ((إن افتتاح المؤول على افاق متعددة ولا نهائية دفع دريدا في مرحلة ما إلى القول أن بورس ارسى في واقع الامر الأسس الأولى التي قامت عليها التفكيكية))^(٤٦)

لقد قامت التفكيكية والسيما على نفس الأسس الاستمولوجية وإن كانت السيماء تعتمد على المنطق والرياضيات في حين انفتحت التفكيكية على الهرمنيوطيقا والمرجعات الفلسفية الأخرى^(٤٧).

وعلى الرغم من الاتفاق بين التفكيك والسيما إلا إنه يوجد نقاط افتراق بينهما وأهمها:

١- إن المحلل السيميائي يركز على مجموعة من التشكيلات التي تتأسس في عمق النص ، الشي الذي لا يقوم به المحلل التفكيكي الذي يشتغل على النص كفضاء لتفتيت المعنى وتشظيه^(٤٨).

٢- السيماء تقوم بتأويل العلامة ، التفكيكية تقوم بتأويل التأويلات . فتجعل القراءة السابقة منطلقاً لها . وهذا ما أطلق عليه امبرتوايكو (التأويل المضاعف)^(٤٩)

٣- تقوم السيمياء على تأويل العلامات والاشارات معتمدة على الحدس والوعي المباشرين للمؤول وعلى حضوره الذاتي . في حين التفكيكية تلغي الجانب السيكيولوجي للذات المؤولة في عملية التأويل^(٥٠)

ثالثاً: التفكيكية والنقد الثقافي

تغلغلت التفكيكية في مقولات النقد الثقافي وكانت أهم منطلقاته تقوم على أساس تفكيك النص وهدم بناءه بغية البحث عن الأنساق المخبئة داخل الخطابات . ويعرف النقد الثقافي بأنه ((فرع من فروع علم اللغة او احد حقول اللسانية لأنه معني بنقد الانساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بتجلياته كلها وانماطه وصيغه المتعددة))^(٥١) من اجل الوصول إلى الأنساق المضمرة يقوم الباحث بتفكيك النص ولهذا يعد النقد الثقافي ((اقرب أنواع النقد الى التفكيكية في حين انه لا يقيم وزناً لما تمّ اعتباره في النقد مقبولاً أو مرفوضاً . وهو يسعى إلى تفكيك كل شيء ولهذا قد تبدو لنا اكثر الأشياء قبولاً وسمواً في نظر النقد الأدبي تكون اكثر انحطاطا وفساداً في رأي الناقد الثقافي . أي أن النقد الثقافي تدمير واضح لكل ماهو ثقافي على قاعدة المغايرة والاختلاف . وهذا الحال يذكرنا بمقولة فنسنت ليتش عن النقد التفكيكي فهو يعتبره اشبه بثور هائج وسط متجر لبيع الخنزف^(٥٢).

فيعد التفكيك أبرز المنطلقات الفكرية والثقافية ؛ لكون النقد الثقافي قائم على هدم أسيجة المكونات وإلغاء الفواصل بين الهامشي والمركز فما هو مقصّي على أنه هامشي يمكن أن يعاد إلى المركز وتتضح أهميته^(٥٣) .

يؤمن النقد الثقافي بوجود أنساق ثقافية مضمرة داخل الخطاب الجمالي وتكمن مهمة الناقد الثقافي في كشف الانساق الثقافية وهذا ما لا يتوافق مع مهمة الناقد التفكيكي الذي لا يقف على محطة معينة من التأويلات بل يؤمن بلا نهائية التأويل .

رابعاً : التفكيكية والنقد النسوي :

ظهر النقد النسوي في الوقت الذي ظهرت فيه التفكيكية وهما احدي نتاجات ما بعد البنيوية . ويقصد به : الأدب الذي يؤكد وجود ابداع نسائي وآخر ذكوري لكل منهما هويته الخاصة ، كما يبحث عن تاريخ وتأكيد اختلافها عن القوالب التقليدية التي توضع من أجل

إقصاء المرأة وتهميش دورها في الإبداع . ويهتم إلى جانب ذلك يتابع دورها في اغناء العطاء الأدبي والبحث في الخصائص الجمالية والبنائية واللغوية في هذا العطاء^(٥٤).
قدمت التفكيكية حجة قوية لاقطاب النقد النسوي حين شككت بمبدأ الارث النظري للنقد الادبي . كما اكدت على أن المعنى في كل خطاب أدبي هو نتيجة العلاقة الخلاقة بين الحضور والغياب ، أو بين المعنى المتحقق والمعنى المرجأ . وما دام المعنى في النص الادبي غير ثابت وغير نهائي ، فأنا المجال يغدو مفتوحا لتجاوز كل القوالب والمعايير الجامدة . واشتقاق معايير أخرى جديدة . ولهذا شرع النقد النسوي يعيد قراءة الأدب بصف عامة متتبعا ما فيه من صور لكل من الرجل والمرأة بغية الكشف عما فيه من انسجام مع الأيديولوجيا الأبوية أو الاختلاف^(٥٥)

ومن هنا تكمن حاجة التفكيكية للشروع في النقد النسوي حيث يقوم النقد النسوي بتفكيك النص بحثا عن ضالته المنشود في تقويض المعرفة السابقة التي تجلّت منها الهيمنة الابوية والسلطة الذكورية، وإعادة بنائها وفق متطلبات جديدة ومعايير جديدة قادرة على تحطيم الأسس بين الهامشي والمركزي . ومحاولة اعلاء شأن المرأة . وهذه من فتوحات التفكيك القائمة على أساس تقويض الحدود بين الرجل والمرأة وفتح المجال لـ(الجنس المتنوع) وهي من المبادئ الثقافية التي رحبت بها ثقافة ما بعد البنيوية .

وقد ذهب الثقافات الغربية إلى أبعد من ذلك في تكسير حدود (التابو) والانفتاح على الممكن الذي لم يكن نتيل اقراره ثقافيا او قانونيا ؛ وهذا امر وارد في ثقافة ما بعد الحداثة^(٥٦). وهذه احدى خاطر التفكيكية التي تقوّض كل بناء لغوي وثقافي ومؤسّساتي... وتشكك في الأفكار والمفاهيم والمبادئ التي رسخت عبر الزمن . في محاولة لخلخلة الثوابت فهي تقود لمنزلق خطير احيانا. ولقد وضحت علاقتها بالمنهج والنظريات والفلسفات والآن نتعرف على نشأتها وغاياتها لنبين لاحقا هل بالإمكان تطبيقها كمنهج نقدي لقراءة القرآن الكريم !

نشأة التفكيكية

بدأت بواذر المشروع التفكيكي تدق أبواب الحركة النقدية في منتصف الستينيات من القرن العشرين ، بعدما شرعت شكوك حول الكفاية المنهجية للبنيوية في شتى حقولها المعرفية وسرعان ما تحولت هذه الشكوك الى تيار نقدي يحاول نقد البنيوية المجردة التي

أحلت النموذج اللغوي بوصفه قوة جبرية محل العقل ، مما أدى الى قهر ذات المبدع والمتلقي على حد سواء ، فقد سادت حالة من البحث الجديد المغاير والمختلف عن البنيوية والفكر الغربي بشكل عام (٥٧).

وكانت فرنسا المهده الأول لحركة التغيير وإعلان موت البنيوية ولعل المزاج الثقافي المتشكل في فرنسا حينذاك من قوى التجانس والتوحد والمحافظة تلك التي رفضتها التفكيك هي من هيأت الظروف الملائمة لظهور التفكيك في فرنسا من دون البلدان الأخرى (٥٨) ولكن الحاضنة الأولى للمشروع الفرنسي الجديد ، كانت أمريكا ، ولتفسير ذلك : ان التفكيكية فتحت الطريق أمام النقاد لاكتشاف الإمكانيات التي يستطيع الناقد القيام بها من دون التميز بين الكتابات النقدية الإبداعية وأخرى نقدية فقط . فكل عمل ادبي يتضمن اصولاً وهذه الأصول تخضع الناقد أما الذي لا يأبى الخديعة فما عليه سوى اقتحام النصوص متحرراً من عقيدة النقص بادئاً خوض بخوض تجربة جديدة تقوم على قلب المعاني وقد بين هلز ميلر في دراسة تطبيقية لأعمال محددة أن المعاني في النصوص تتقاطع وتتضاعف حتى تبدو وكأنها تشارك في التناقض : تناقض (الضيف المتطفل) مع المضيف وهو النص (٥٩)

وفي رأي آخر يعلل احتضان أمريكا للتفكيكية بغية التمكن من التلاعب بالمنظومة المعرفية المختلفة وتوجيهها . ان المعنى المؤدلج والمتمثل للأشياء على انها انزياحات مستمرة (لا نهائية) لا ترتقي الى صيغة الاستقرار وتبقى وحدات ذات معانٍ مهمشة طبقاً لتعدد قراءاتها ؛ ومن هنا عدت التفكيكية المرحلة الأخيرة من مراحل الشك الليبرالي ، وعدت النظريات والايديولوجيات الملتزمة والخارجة عن طروحات التفكيك بمثابة طروحات إرهابية متأصلة (٦٠) .

انطلقت ثورة التفكيك ١٩٦٨ حين قدم دريدا مقالته المعنونة : ((البنية والعلامة واللعب في خطاب العلوم الإنسانية)) ومن ثم أعاد طباعتها في كتابه (الكتابة والاختلاف) في الصفحات ٢٧٨ - ٢٩٤ .

وفي مؤتمر نظمته جامعة جون هوبكنز بنيا لثمور كانت مقالة دريدا متميزة ذاع فيها على الفور موت البنيوية واحلال مرحلة ما بعدها . جاء عمل دريدا على شكل مناقشات نقدية

لكل من روسو وهيدجر ونيثشه وسوسير وكتاب اخرون . فقد زود دريدا مشروعه ببرنامج فلسفي في حين هيا لها فوكو صبغة سياسية ذات طابع يساري. (٦١)

ونتيجة لاحتضان الولايات المتحدة ودعمها المستمر لاستراتيجية التفكيك رحبت بالمهاجرين الجدد وعلى رأسهم جاك دريدا ، كما رحبت جامعاتها بالتفكيك وسرعان ما تحول هذا الترحيب الى تأسيس مدرسة تفكيكية في أمريكا (مدرسة بيل النقدية) على غرار المدرسة الفرنسية (نيل كيل) حتى اصبح النقاد يتحدثون عن التفكيكية بوصفها منهجاً أمريكياً (٦٢) .

يقدم دريدا التفكيكية بأنها : ((حركة بنائية وضد البنائية في الوقت نفسه ، فنحن نفكك بناء او حدثاً مصطفاً لنبرز بنيانه ، اضلاعه ، وهيكله ، ولكن نفك في آن معاً ، البنية الشكلية العارضة والمخربة ، البنية التي لا تفسر شيئاً فهي ليست مركزاً ولا مبدأ قوة ، أو مبدأ الاحداث بالمعنى العام للكلمة ، أنه حركة بنيوية تضطلع بضرورة معينة للأشكال البنيوية ، ولكن أيضاً حركة (ضد البنيوية) (٦٣)

فمشروع التفكيكية اقام على انقاض ثورات متعددة قادت الى الانتصار وأهمها :

١- الثورة على العقل

ثار دريدا على الفكر الغربي بأسره ودعا إلى تفكيكه كونه يجر الفكر الإنساني الى التمرکز حول جملة من الأفكار والمنطلقات والأسس الميتافيزيقية التي كانت تغذيه . لذلك عمل دريدا على نقد الميتافيزيقيا وهدم النظام المتناسك الذي مثل فلسفة الغرب ولمدة طويلة بأنها عقلية بحتة ، تمجد العقل وتأخذ به كمييار لتقييم المعرفة والحقيقة وتكون حينها النتائج والحقائق ثابتة . وهذا ما اثار دريدا فهو ينظر الى هذه الفلسفة بأنها ساهمت في تقوقع الفكر الغربي .. مما جعله يطرح مفاهيمه القائمة على أساس غياب المعنى وضياح الدلالة داعياً الى انفتاح النص المكتوب وتوسيع مجاله المعنوي الى ما لا نهاية (٦٤)

٢- الثورة على البنيوية

حاول التفكيكيون إعادة الروح الجمالية والمعرفية لعالم النص الأدبي وذلك من خلال تحطيم تلك الأطر والآليات البالية التي طالما اعتنقها النقد البنيوي بتفرعاته المتباينة . فثار دريدا على فكرة الغائية والبنية ومركزية الحضور التي قادت الى القول بتمزيق البنية وتفكيكها (٦٥)

٣- نقد سلطة الحضور

الفلسفة الغربية منذ افلاطون إلى هيغل قائمة على أساس فلسفة الحضور التي تختزل فيها الذات داخل الوعي باعتبارها المركز في هذه الفلسفة . وبحسب فلسفة الحضور فقد اقتصر مفهوم الأشياء والموجودات بوصفها أشياء حاضرة . وهذا ما ثار عليه دريدا فليس ثمة شيء حاضرا ، وكل ما نعتبره حاضراً يعتمد لتجريد هويته على اختلافات وعلاقات لا يمكن أن تكون حاضرة . بمعنى أن الأشياء لا تظهر إلا بالاعتماد على الاختلافات والعلاقات الخارجية بوساطة مرجعيات أخرى ، ولما كانت هذه الاختلافات غير حاضرة ، فهناك معنى غائب دائماً^(٦٦)

وبهذا الفكر استطاع دريدا أن يخلص الفكر الغربي من الحاجز الذي عمل لمدة طويلة على كبت المعنى والحد من انطلاقه وتعددده ، أما مقولة الغياب التي طرحها دريدا جعلت من النص المكتوب أو الخطاب اللغوي دائماً مؤجلاً غائباً ، مختلفاً بحسب شخصية كل من القارئ والمتلقي^(٦٧)

فيما يخص الأسس والمنطلقات والمقولات التي استند عليها دريدا في تأسيس منهجه نذكرها (الاختلاف – الأثر الأصل – الانتشار – أو التشتت – التكرارية والملاحق أو الإضافة) ومن أهم رواد التفكيك في فرنسا جاك دريدا – رولان بارت – فوكو – تودوروف – كلانشو – جاك لاكان – وجوليا كرسيفيا ومن أمريكا تجمعوا أصحاب التفكيك في مدرسة بيل واشهرهم بول دي مان وهارولد بلوم وهيلز ميلر وهارتمان وغيرهم .

وعلى الرغم من الترحيب الذي حظت به التفكيكية الا انها تعرضت للانتقادات ونذكر منها :

- ما قاله جاك دريدا منتقداً منهجيته ، فهو الذي اقرّ مبدأ اللعب الحر للعلامة (الدال) والذي أتاح له انفتاحاً على المعاني لا حصر لها ، وهذا ما عبر عنه بتعدد القراءات هذا التعدد وصفه في نهاية المطاف بأنه عرضه للتفكيك ، حيث وصف مجمل قراءاته في أي نص كان انها إساءة قراءة ، يضاف الى ذلك ان التفكيكية في نظر دريدا تفتقد الى معايير الضبط المنهجي ، لأنها سرعان ما تعلن غياب ملامحها^(٦٨) .

- يقول ليتش ان التفكيكية باعتبارها صفة لنظرية النص تخرب في كل شيء في التقاليد والأفكار الموروثة ، وتشكك في الأفكار الموروثة عن العلامة والنص واللغة والسياق والقارئ والمؤلف ودور التاريخ وعملية التفسير واشكال الكتابة النقدية^(٦٩)
- عارض جون إلسن فكرة دريدا القائمة على اعلاء شأن الكتابة والخط من الكلام وجعله سلبى وهامشي ، قدم ذلك بقوله: ان الكلام وجد قبل اختراع الكتابة ولا يزال في بقاع الأرض لغات غير مكتوبة فضلا عن وجود اعداد هائلة من الناس يتكلمون من دون معرفة الكتابة^(٧٠)
- من المعارضين للتفكيكية جيرالد جراف استنكر التفكيكية لانسحابها الذي تلام عليه من مشكلات المجتمع الحديث . وهذا الانسحاب نوع من العبث النصوصي طوال احتراق روما ، فقد أصبحت التفكيكية واحدة من طرق الهروب المنظمة التي تفصل تماماً عن أي معنى من معاني الارتباط الاجتماعي^(٧١)
- التفكيكيون هم السبب الوحيد لأزمة الدراسات النقدية . فهم يتصورون المؤسسة الأدبية وقد تحولت الى كرنفال تخنفي فيه التقسيمات والحدود التي تميز بين الشيء وغيره الى درجة يسود فيها الخلط ، فيحصل الطلبة على درجات عالية مقابل السخرية التي يتقنوها مع جهلهم بأكثر الأشياء بدهاة^(٧٢)
- ونذكر من انتقادات النقاد العرب ما قيل في حق التفكيكية انها افراز عصر الشك الكامل الذي يخيم على كل شيء فاستحالت معه المعرفة اليقينية وفقد العالم محور توازنه وارتمازه . وهي أمور تفسر لا نهاية الدلالة القائمة على استحالة المرجعية لأي سلطة خارجية ، ليس موجودة اصلاً ونفي وجود التفسيرات الموروثة او المعتمدة والنتيجة اطلاق المعنى كرنفال باختين او دوائر يرسمها بارت في الهواء .^(٧٣)
- وقال عبد العزيز حمود : ان اكبر انجاز ساعد على رواج التفكيكية اجادة دعاية فنون البيع والتغليب التي تمكنهم من بيع البضائع القديمة في اشكال جديدة وبراقة ، والادهى من ذلك انهم ينطلقون من موقف فلسفي ونقدي ينادون بنسق التقاليد والأعراف وينجحون في أحيان كثيرة في تحقيق ذلك لكنهم لا يقدمون البدائل الحقيقية^(٧٤).
- وقال عنها د. إبراهيم خليل : التفكيكية تستخدم كلمات ومصطلحات غير واضحة سعيًا منها لإبهار القارئ واقناعه بأن ما يقال له استثنائي وغير عادي . علاوة على ذلك انها

إعادة لبعض المقولات الفلسفية المعاصرة ولا سيما الظاهرانية وفلسفة التأويل ، تحكمها بالدرس الادبي وهو الشيء الذي طالما سعى عموماً والبنوية خصوصاً السخرية منه (٧٥) .

- ((ان القراءة التفكيكية وان كانت آلياتها واجراءاتها وأجهزتها الاصطلاحية والمفهومية واحدة ، الا انها سلاح ذو حدين اذ يمكن لهذه القراءة ان تفضي الى نتائج ليست مختلفة فحسب بل متناقضة ايضاً))^(٧٦) الشيء الذي يجعل الباحث في حالة حيرة وشك دائم وبحث متواصل عن الحقيقة انها ترهقه في بحث لا جدوى منه فيشعر بحالة من الملل والضيق والشك في كل شيء^(٧٧) .

ولا ننسى ان ما بعد البنوية التي تمثل التفكيكية وليداً شرعياً لها كانت نتاجاً ((لما شهدته فرنسا عام ١٩٦٨ من اختلاط النشوة وانقشاع الوهم والتحرر والانغماس في الملذات والكرنفال والكارثة . ولما كانت غير قادرة على كسر بنى سلطة الدولة فقد وجدت ان من الممكن تدمير سلطة اللغة عوضاً عن ذلك^(٧٨))) ويعمل النشوة بانها : ((الخفة وغالباً ما تدور حالة تتميز بمشاعر لا أساس لها ، اذ تغمر المرء بمشاعر الغبطة والسعادة وتمتلكه القوة والخفة والتفاؤل ، بيد ان هذه الحالة قد تتميز بنوعاً من الخلل والاضطراب العقلي^(٧٩))).

ولعلنا لا ننسى قول الناقد الفرنسي برجينز ((ان تبني الناقد منهجاً معيناً يعني تبني مفهوماً للإنسان ذاته)) تبني الانسان المبدع والآخر المتلقي والمستهلك . فاذا كانت ظروف الغرب وحالة الثقافية والفكر القائم لا يستدعي ابداً القبول بكل الهدايا من دون فحص محتواها .

ومن الخطأ ان نفهم بشكل مطلق ان ما بعد البنوية جاءت لخدمة الادب والنقد بل ((الانتقال من البنوية الى ما بعدها استحالة لمتطلبات سياسية في وجه من اوجهه^(٨٠))) كما ان التفكيك ليس مجرد منهج او متعة او فوضوية بل فيها وجه سياسي مكمل لمشروع امريكي منظم اذ ان ((بعض استخدامات الأمريكين للتفكيك تعمل للمحافظة على انغلاق مؤسساتي يخدم المصالح السياسية والاقتصادية المهيمنة في المجتمع الأمريكي))^(٨١) . فالتفكيك بالنسبة لمشروع دريدا هو ((ممارسة سياسية في جوهره ومحاولة لتعرية المنطق الذي يصون قوة نظام محدد من التفكير وقوة نظام كامل من البنى السياسية والمؤسسات الاجتماعية))^(٨٢) .

وربما يكون غاية التفكيكية ابعد من ذلك من خلال تأثيرها وتغلغلها في الخطابات ووصول جاك دريدا الى الوطن العربي وتحديدًا مصر قدم خطابه التفكيكي ، لربما تكون فيها غاية زعزعة الثوابت الدينية الراسخة عند العرب والمستمدة من كتاب التشريع الواحد وهو القرآن الكريم .

وفي ظل معطيات التفكيكية ومنهجها وآليات تعاملها مع الفكر والخطابات والنصوص نريد ان نسلط الأضواء على كيفية تعامل الباحثين مع النص القرآني في ظل المنهج التفكيكي.

التفكيكية وقراءة القرآن الكريم

لقد أوضحنا مفهوم المنهج التفكيكي وحقل اشتغاله وعلاقته بالمناهج والنظريات والفلسفات الأخرى ، ننتقل الى المحور الثاني من البحث وفيه نبين هل بالإمكان تطبيق المنهج التفكيكي على القرآن الكريم وتفسير آياته وسوره؟ يجب علينا أولاً أن نضع أمام انظارنا مقولات التفكيك (التفكيك ، الغياب ، المرجأ ، التأويلات المتعددة ولا نهائية التأويلات ، ولادة نص جديد على انقاض القديم ، الفصل بين الدال والمدلول ، لا نهائية القراءة ،) نحن نحاول كثير تطبيق المناهج النقدية على النصوص الإبداعية البشرية ، أما النصوص المقدسة فمرجعها الله (سبحانه وتعالى) ربما نقف في حرج شديد إزاء الاجراء وخوفاً من انزلاق وانزياح التأويلات الى قراءات وتفسيرات لا تحمد عقباها قد تتعارض مع قدسية النص والموقف الجمعي الراسخ في البنية الدينية لا سيما ما اجمع عليه المفسرون القدماء . فضلاً عن كون القرآن الكريم كتاب ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وللخوض في هذا المجال ذكر بعض الباحثين إمكانية قراءة النص القرآني وتفسيره في ضوء مرجعيات التفكيك ، ويرجع ذلك الى جهود تفسيرية قديمة قدمت منهجاً مقارباً للتفكيكية . فنظرت الى النص على أنه واقع وسطاً بين كونه ليس مستسخاً لرأي من سبقه ، وبين كونه مضيفاً لشي من شخصيته على الرأي المسترقد ، وبهذا فلا يمكن ان يكون الهدم واضحاً ؛ لكن البناء يبدو شامخاً فيه ويذكر الباحث امثلة على التفاسير التي يمكننا ان نصنفها اتبعت منهجاً تفكيكياً في التفسير

ومنها اذكر : مجاهد بن جبر ١٠٢هـ وتفسير نافع بن أبي نعيم ١٦٩هـ وتفسير القرآن العزيز لعبد الرزاق الصنعاني ٢١١هـ وتفسير القرآن العظيم للتستري ٢٨٣هـ وغير ذلك الكثير^(٨٣) .
ويذكر مثالا لتفسير القدماء وفق مقاربات التفكيكية قوله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) فسروا لفظة (أحد) بقولهم (الواحد) وذهب آخرون أنه (الواحد الذي لا منافس له) وهناك من قال : (الواحد الذي أقدم من اوجدنا نحن بنو البشر) وقالوا أيضاً : (ان واحدنا نحن متكثراً أما (أحد) فهو واحد لا شريك له ، وذهب بعضهم أن (واحد) مزيد من الوجدانية بسبب زيادة الألف فيه حيث أن أصله (وحد) ، وأما (أحد) فهو اصل في الوجدانية لا زيادة فيه.^(٨٤)

ويمكننا الرد على هذا الرأي : بأن هذه التفسير وما شابهها لا تمت الى التفكيكية بصلة فهي تعود الى ما قبل التفكيكية بألاف السنين . وهذه محاولات كثير من النقاد العرب باحثين في المناهج الغربية في محاولة إيجاد نظيراً لها او مقاربتها لجهود العرب القدامى لنثبت افضلية العربي واسبقيته.

لذلك لا يمكننا القول ان القدماء فسروا القرآن الكريم وفق المنهج التفكيكي .
اما من اتبع خطوات جاك دريدا ومقولاته في تفسير القرآن الكريم وسواء أكان جزء منه او مجمله فهذا البحث له منحدر خطير ، اذ على الباحث أن يضع نصب عينيه أن الاحكام الشرعية والمحكمات والناسخ والمنسوخ والعقائد الراسخة لا يمكن الطعن بقدسيته وتغييها .
وفي المقابل تقود التفكيكية الى نقد وتفكيك الثوابت وانفتاح النص وتعدد الاحتمالات ومن ثم نزع القدسية والثبات . هذا ما حاول اختراقه أصحاب القراءات المعاصرة أمثال علي حرب الذي قال : ((برغم الدعوة الى التوحيد باسم الله الواحد الاحد المفارق الغالب ، فإن الحدث القرآني هو نص بامتياز ، والنص ينطوي على التعدد، إنه تعددي من حيث التعريف ، وكونه تعددياً لا يعني فقط انطوائه على تعدد المعاني بقدر ما يعني إنه بنية أصلية للاختلاف ، أي انه ينتج الاختلاف والمغايرة ، بقدر ما ينتج التشابه والمماثلة ، إنه نص مفتوح ومحال لا يتوقف عن التأويلات ، ولذا كل واحد يستعيد النص بقراءاته له ، إنما يكتب في الوقت نفسه اختلافه ويقول حقيقته ويفهم منه ما يجيزه عقله ويسمح به فهمه ويمليه ظرفه وشرطه ...))^(٨٥).

وهذا الفكر يهدد المقدس ويخلخل الثوابت عن طريق مبدأ الشك وفهم القرآن الكريم سيكون بحسب المذات والرغبات الذاتية لا بحسب المقاصد الإلهي ، ومثل ذلك كثير حاول ترسيخه محمد اراكون ومن سار على خطاه^(٨٦) .

ومن هنا اختتم البحث بقول عبد العزيز حمودة : ((هنا تكمن عدمية التفكيك وتهديده بفوضى التفسير . وهنا أيضاً تتمثل أزمة الحدائي العربي كاملة في تبنيه لمقولات نقدية افرزها فكر فلسفي ندعي بأنه غريب علينا...))^(٨٧) . ونبه دعاة التفكيك انفسهم الى ذلك فقال هارتمان الذي يخشى من فوضوية التحليل والتفسير وفق التفكيكية فهو لم يتردد في الكتابة ضد التفكيكية وأشار الى انها فلسفية اكثر من كونها لغوية وحذر من نسفها للقواعد والأنظمة^(٨٨) .

نتوصل في ختم هذا الدراسة الى استحالة تطبيق منهج التفكيك على النصوص المقدسة ولا سيما القرآن الكريم ولا يتحقق ذلك من دون هتك قدسيته والمساس بثوابته.

هوامش البحث

- (١) لسان العرب مادة فكك : ٤٧٥/١٠-٤٧٦
- (٢) ينظر : المعجم الوسيط مجمع اللغة العربي ، دار العودة : ٦٩٨/٢
- (٣) هو المصطلح الشائع في الدراسات النقدية العربية والمترجمة
- (٤) المصطلح الذي استخدمه الغدامي في (الخطيئة والتكفير) : ٤٨
- (٥) المصطلح الذي اتخذه ميجان الرويلي وسعد البازعي (دليل الناقد الادبي) ١٥٧ وعند عبد الملك مرتاض في القراءة وقراءة القراءة : ٢٠١
- (٦) اطلق هذا المصطلح من قبل بعض الرافضين للتفكيك أمثال ينظر: التفكيكية كريستوفر نوريس : ٢١٣
- (٧) ينظر : موسوعة كامبريدج في النقد الادبي من الشكلاية الى ما بعد البنيوية ، تحرير رمان سلدن ، اشراف جابر عصفور ، مجلد ٨ / ٢٠٠٦ ، ترجمة : حسام نايل
- (٨) م.ن
- (٩) الحقيقة الشعرية د. بشير تاويريت : ٢٠١-٢٠٢
- (١٠) دليل الناقد الادبي : ١٠٧-١٠٨
- (١١) م.ن : ١٠٨
- (١٢) البؤرة ودائرة الاتصال دراسة في المفاهيم النقدية وتطبيقها : ١٤

- (١٣) الحقيقة الشعرية
- (١٤) المرايا المحدثه من البنيوية الى التفكيك: ٣٠١
- (١٥) الحقيقة الشعرية: ٢٠٤-٢٠٥
- (١٦) المرايا المحدثه: ٣٠٤
- (١٧) الحقيقة الشعرية: ٢٠٦
- (١٨) نقاد الحداثة وموت القارئ ، عبد الحميد إبراهيم ، مطبوعات نادي القسم الإداري ، مكتبة الملك فهد الوطنية / ط١-٧: ١٩٩٦.
- (١٩) فلسفة جون سارتر: ٢٤٤
- (٢٠) الحقيقة الشعرية: ٢١٠
- (٢١) فلسفة جون سارتر: ١٦٩
- (٢٢) الحقيقة الشعرية: ٢١١
- (٢٣) مدخل الى التفكيكية ، ميشيل رايان ، جوناثان كلر وريتشارد كريستوفر ، ترجمة: حسام نايل ، سلسلة افاق عالمية - ٢٥: ٢٠٠٨.
- (٢٤) التفكيكية دراسة ونقد ، بيرف زما ، ترجمة: أسامة الحاج: ٥٩-٦٠.
- (٢٥) التفكيكية بين النظرية والتطبيق: ٨
- (٢٦) المرايا المحدثه: ٣٠٥
- (٢٧) التفكيكية في الخطاب النقدي: ٢٦
- (٢٨) م.ن: ٢٩
- (٢٩) مقدمة في نظرية الادب ، تيري ايغلتن ، ترجمة احمد حسان ، دار الكتب المصرية ، ط١- ٢٩: ١٩٩١
- (٣٠) المرايا المحدثه: ٥٠
- (٣١) ضد التفكيكية: ١٦
- (٣٢) التفكيكية ، نوريس: ٧٥
- (٣٣) نظرية الادب: ٢١٦
- (٣٤) التفكيكية النظرية والممارسة ، صبري محمد حسن / ٧٥-٧٦
- (٣٥) الحقيقة الشعرية: ٢٢٣
- (٣٦) م.ن
- (٣٧) البنيوية وما بعدها النشأة والتقبل (أطروحة دكتوراه): ٢٢٤

- (٣٨) م.ن:٢٢٤
- (٣٩) م.ن نقلا من المكون اليهودي في الحضارة الغربية: ٣٨٥
- (٤٠) البنيوية وما بعدها: ٢٢٦
- (٤١) التفكيكية ، هشام الدركاوي: ٤٣
- (٤٢) النقد الادبي الحديث من القراءة الى التفكيك : ١٢١
- (٤٣) التفكيكية : ٤٤
- (٤٤) م.ن
- (٤٥) دليل الناقد الادبي : ٢٤٥
- (٤٦) السيمياء النشأة والموضوع ، سعيد بنكراد ، عالم الفكر ، الكويت ٢٠٠٧
- (٤٧) التفكيكية : ٤٩
- (٤٨) م.ن: ٤٠
- (٤٩) سعيد بنكراد: ٣٧
- (٥٠) دليل الناقد الادبي : ١٨٥
- (٥١) في النقد الادبي الحديث من المحاكاة الى التفكيك : ١٤٠
- (٥٢) النقد الثقافي ومنطق الانسام – في المنطق والمتن والاجراء ، د. عبد العظيم السلطاني : جامعة بابل ٢٠٢١: ١٨١
- (٥٣) في النقد الادبي الحديث: ١٤٠
- (٥٤) النقد الثقافي ، ارثر ايزابجر ، ترجمة وفاء إبراهيم : ٦٦
- (٥٥) في النقد الادبي الحديث: ١٣٦
- (٥٦) النقد الثقافي ومنطق الانسجام : ١٨١
- (٥٧) البنيوية وما بعدها : ١٨٢
- (٥٨) المرايا المحدبة : ١٦٥
- (٥٩) في النقد الادبي الحديث : ١١٣
- (٦٠) البنيوية وما بعدها : ١٨٤
- (٦١) البنيوية وما بعدها : ١٨٤
- (٦٢) موسوعة كمبريدج : ٢٧٣-٢٧٤
- (٦٣) التفكيكية إرادة واختلاف وسلطة العقل : ١١٤-١١٥
- (٦٤) المركزية الغربية (إشكالية التمرکز حول الذات) : ٣١٩-٣٢٠

- (٦٥) الحقيقة الشعرية : ٢٢٢-٢٢٣
- (٦٦) البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس الى دريدا : ٢١٧-٢١٨
- (٦٧) الحقيقة الشعرية : ٢٢١
- (٦٨) الحقيقة الشعرية : ٢٥٨
- (٦٩) المرايا المحدبة : ٢٩٤
- (٧٠) ضد التفكيكية : ٤٠-٤١
- (٧١) نوريس: ٢١١-٢١٢
- (٧٢) المرايا المحدبة : ٢٩٣
- (٧٣) م.ن: ٢٩٥
- (٧٤) م.ن
- (٧٥) في النقد الادبي الحديث : ١١٦
- (٧٦) المغايرة والاختلاف دراسة في التفكيك ، شجاع مسلم العاني ، علامات في النقد
- (٧٧) الحقيقة الشعرية : ٢٦٤
- (٧٨) نظرية الادب تيري ايغلتن : ٢٢٨
- (٧٩) م.ن ٢٢٨
- (٨٠) م.ن: ٢٣٧
- (٨١) م.ن: ٢٣٧
- (٨٢) م.ن : ٢٣٨
- (٨٣) ينظر في هذا البحث: ملامح التفكيك في بعض كتب تفسير القرآن الكريم ، د. محمد محمود ياسر الجوراني ، كلية الآداب - الجامعة المستنصرية ، مجلة (دوة) المجلد ٦ العدد ٢٣، السنة السادسة شباط ٢٠٢٠م : ١١٥ وما بعدها
- (٨٤) ينظر : م.ن نقلا من تفسير نافع بن ابي نعيم ٢/٢٢٢، تفسيرالواضح في تفسير القرآن الكريم ٣/١٢٣، الجامع لأحكام القرآن الكريم: ١٢١/٢.
- (٨٥) نقد الحقيقة ، علي حرب ، المركز الثقافي العربي- بيروت ، ط١، ١٩٩٣: ٣٤-٣٥
- (٨٦) ينظر في ذلك مؤلفات محمد اراكون ومنها نذكر، الفكر الإسلامي ، قراءة علمية ، ترجمة هاشم صالح ، بيروت ، مركز الانماء القومي ، ط٢-١٩٩٦م . وقضايا في نقد العقل الديني ، دار الطليعة ، ط٤-٢٠٠٩ .
- (٨٧) المرايا المحدبة : ٣٥١

قائمة المصادر والمراجع

١. البؤرة ودوائر الاتصال دراسة المفاهيم النقدية وتطبيقها ، نسمة الغيث ، دار قباء للطباعة والنشر - القاهرة ، ٢٠٠٠
٢. النبوية وما بعدها من ليفي شتراوس الى دريدا ، تحرير : بون ستروك ، ترجمة د. محمد عصفور ، عالم المعرفة ، ٢٠٠٦ ، الكويت .
٣. النبوية وما بعدها النشأة والتقبل (أطروحة دكتوراه) سامر فاضل الاسدي ، اشراف أ.د. قيس حمزة الخفاجي ، جامعة بابل - كلية التربية ٢٠٠٩.
٤. التفكيكية إرادة الاختلاف وسلطة العقل ، عادل عبد الله ، دار الحصاد للنشر ، سوريا دمشق ، ط١-٢٠٠٠
٥. التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر ، تأليف بشير تاويريت ، دار رسلان ٢٠١٠.
٦. التفكيكية دراسة ونقد ، بيرف زينا ، ترجمة أسامة الحاج ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، ط١-١٩٩٦ بيروت .
٧. التفكيكية التأسيس والمراس ، هشام الدركاوي ، دار الحوار - سوريا ، ط١-٢٠١١.
٨. التفكيكية ، كريستوفر نوريس ، ترجمة : د. صبري محمد حسن ، دار المريخ ، السعودية ط١-١٩٨٩
٩. الحقيقة الشعرية ، بشير تاويريت ، عالم الكتب الحديثة ، الأردن ، ٢٠١٠ ، ط١
١٠. الخطيئة والتكفير من النبوية الى التشريعية ، عبد الله الغدامي ، النادي الادبي الثقافي ، ط١ ، ١٩٨٥.
١١. دليل الناقد الادبي ، ميجان الرويلي وسعد البازعي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء / المغرب ، ط٥-٢٠٠٧
١٢. السيمياء النشأة والموضوع ، سعيد بنكراد ، عالم الفكر - الكويت ، العدد ٣ ، ٢٠٠٧
١٣. فلسفة جون سارتر ، حبيب الشاروني ، دار المعارف - القاهرة .
١٤. الفكر الإسلامي ، قراءة علمية ، ترجمة هاشم صالح ، بيروت ، مركز الانماء القومي ، ط٢-١٩٩٦ م.
١٥. ضد التفكيكية ، جون اليسون ، ترجمة حسام نايل ، اشراف جابر عصفور ، ط١-٢٠١٢
١٦. القراءة وقراءة القراءة ، عبد الملك مرتاض ، علامات في النقد ، ج ١٥ ، م ٤ ، مارس ١٩٩٥

١٧. الكتابة والاختلاف ، جاك دريدا ، ترجمة كاظم جهاد ، الدار البيضاء - المغرب ، توبقال ، ط١-١٩٩٢
١٨. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل ابن منظور الافريقي ، دار صادر بيروت ، ط٣-١٤١٤هـ ج١٠ مادة فكك
١٩. المغايرة والاختلاف دراسة في التفكيك ، شجاع مسلم العاني ، علامات في النقد
٢٠. المركزية الغربية (إشكالية التمركز حول الذات) عبد الله إبراهيم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت - ط١-١٩٩٧.
٢١. مقدمة في نظرية الادب ، تيري ايغلتن ، ترجمة : احمد حسان ، دار الكتب المصرية ، ط١-١٩٩١.
٢٢. المرايا المحدبة من البنيوية الى التفكيك ، عبد العزيز حمود ، منشورات عالم المعرفة ، الكويت - ط١-١٩٩٨
٢٣. موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي من الشكلائية الى ما بعد البنيوية ، تحرير راما سلدن ، ترجمة : حسام نايل ، اشراف جابر عصفور ، مجلد ٨ - ٢٠٠٦.
٢٤. المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية) ، إبراهيم مصطفى ، احمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار ، دار الدعوة - القاهرة .
٢٥. ملامح التفكيك في بعض كتب تفسير القرآن الكريم ، د. محمد محمود ياسر الجوراني ، كلية الآداب - الجامعة المستنصرية ، مجلة (دوة) المجلد ٦ العدد ٢٣ ، السنة السادسة شباط ٢٠٢٠م
٢٦. نقاد الحداثة وموت القارئ ، عبد الحميد إبراهيم ، مطبوعات نادي القسم الادبي ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط١-١٩٩٦.
٢٧. نظرية الأدب ، تيري ايغلتن ، ترجمة ثائر ديب ، دار المدى
٢٨. النقد الادبي الحديث من المحاكاة الى التفكيك ، إبراهيم خليل ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، ط٤-٢٠١١
٢٩. النقد الثقافي ومنطق الانسجام في المنطق والتمن والاجراء ، د. عبد العظيم السلطاني ، جامعة بابل ٢٠١٢
٣٠. النقد الثقافي ، ارثر ايزابجر ، ترجمة وفاء إبراهيم ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط١-٢٠٠٣.
٣١. نقد الحقيقة ، علي حرب ، المركز الثقافي العربي - بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣.